الخالقيّة والرّازقيّة

في حَضرَةِ العِترة السَّنِيّة

تصنيف:

آيةُ الله المرجع الدّيني المحقِّق

سماحة الشَّيخ محمَّد جميل حمُّود العَامِلي

(دَامَ ظِلُّه)

مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث

أيُعَدُّ الاعتقاد بأن أهل البيت (عليهم السَّلام) خالقون ورازقون ومميتون ومحيون - بإذن الله تعالى - صحيحًا أم أنَّه غلوٌ وشركٌ.. ؟؟

إلى الشيخ السند، والكهف المعتمد، عمدة العلماء العاملين، وزبدة الفضلاء الكاملين، قوام الملة والدين، سند الشيعة، وركن الشريعة، العالم الرباني، والعارف السبحاني، محيي الدين، وركن المؤمنين، وحيد العصر، وفريد الدهر، وتاج الفخر، قطب رحى الهداية، ومحور كرة الإفادة والرعاية،علم الدراية، ومبين محكم الآية والرواية،الذي أنواره مُقتَبسة من فاضل فلك الولاية، كاشف رموز أسرار الحقيقة، وموضح مبهمات الشريعة والطريقة، شيخي العالم العامل، ذي المفاخر والمكارم، الركن الأعظم، والطود المنيع الأفخم، مُعلمي العلامة، وسندي الفهامة، عماد الإسلام، وعلم الأعلام، وصفوة الفقهاء الكرام، الطود الأشم، والبحر الخضم، النور اللامع من ضياء الحقيقة المحمدية، والبدر الطالع في سماء الإمامة العلوية، والدرة المنيرة الخارجة من الصدفة الفاطمية، والثمرة الجنية الناتجة من الدوحة الحسنية والحسينية، سماحة الفقيه المحقق وخادم أهل البيت (عليهم السَّلام)، شيخنا الأستاذ المرجع الديني آية الله الشيخ محمد جميل حمود العاملي (دام ظله الشريف).

المسألة المطروحة في الوقت الحاضر هي **مسألة الخالقية، والرازقية، والإحياء، والإماتة**، وغيرها من الأمور المشابهة.

فالبعض يعتقد بأنّ أهل البيت (عليهم السَّلام) هم عبادٌ لله (سبحانه وتعالى)، وأنّ الله الواحد الأحد، بعد أن خلقهم، منحهم قدرات: الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وسائر الأفعال؛ وذلك لأنّ جميع أفعالهم، وأقوالهم، وإراداتهم، منبعثة من الإرادة الإلهية.

فهم يقولون بأنّ أهل البيت (عليهم السَّـلام) خالقون، ورازقون، ومحيون، ومميتون، ولكن لا على نحو الاستقلال، بل بإذن الله تعالى وبإرادته.

<u>وبالتالي فالسؤال المطروح هنا:</u>

هل يُعد هذا الاعتقاد اعتقادًا صحيحًا أم يُعد من الغلو؟ خصوصًا وأنّ القائلين بهذا الرأي لا يدّعون أن أهل البيت (عليهم السَّـلام) يقومون بهذه الأفعال استقلالًا وبذاتهم، بل يرون أن القدرة والإرادة التي عندهم هي من الله تعالى، ومنبعثة من إرادته سبحانه. فهل هذا القول صحيح، أم أنه قولٌ باطل؟؛ وذلك لأن بعض مشايخ أهل البدع أو النواصب يعتبرون هذا القول من الغلو والكفر.

كما نرجو من سماحتكم التفضل ببيان مدى صحة خطبة البيان المنسوبة لأمير المؤمنين (عليه السَّـلام)، وكذلك توضيح الحديث الشريف: "أنزلونا عن الربوبية، وقولوا فينا ما شئتم".

تلميذُكم الصغير
كلب آل محمد (عليهم السَّلام)
السيّد محمد رضا الشيرازي
لندن، المملكة المتحدة

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

بسم الله جلَّت عظمته

والحمد لله رب العالمين، وصلواته التامات وتسليماته الكاملات على المبعوثين رحمة للعباد النبيّ وأهل بيته الأطهار النجباء، ولعنته الدائمة السرمدية على أعدائهم ومبغضيهم والمنكرين لمقاماتهم وعلو قدرهم وعصمتهم وظلاماتهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.. وبعد:

السلام عليكم ورحمته وبركاته

بدايةً: نشكركم سيّدنا الكريم على حسن ظنكم بنا، وهو ممّا نقدّره ونثمّنه، ومن حسن توفيق العبد العاملي كلب خاتم الحجج الأطهار إمام العصر وجوهرة الزمان القائم من آل محمد (صلَّى الله عليهم أجمعين) أن يكشف الغطاء عن مبهمات المسائل الشائكات والمتشابهات العويصات، وما قام به العبد العاملي ليس بجهده فحسب، بل هو من غرر إلهامات الحجج الأطهار؛ لا سيّما إمام العصر وناموس الدهر القائم من آل محمد (عليهم السَّلام).. كيف لا! وعبدهم الحقير لا يرجو دنيا، ولا يسعى نحو حطام، ولو أردناها لكُنّا دخلنا فيها من أبوابها العريضة.. ولكن هيهات أن نبيع الآخرة بعرض الدنيا، أو أنْ نستبدل آل البيت (عليهم السَّلام) بغيرهم، إذ إنّنا لا نساوي بهم نبيًّا على الإطلاق سوى جدَّهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلَّم).. فكيف نفعل ذلك معهم، وهم سادة الأنبياء والرسل والملائكة.. !! فنحن لسنا ممن يبيع ويشتري، ولن نكون إلا خدامًا وعبيدًا لنعالهم الشريفة.. فوالله الذي لا إله إلا هو ما من بحثٍ أو مدة قلم نخطها ما هي إلّا في سبيلهم ورفعة مقاماتهم وعلو شأنهم.. وقد جاءتنا البشارات العديدة للكثير من بحوثنا وكتبنا بما لا يمكن البوح بجُلِّه، وإن فلت منها شيء إلى الملأ فإنما هو لما فيه إعلاء لمقام آل البيت (عليهم السَّلام) وتصويب معالم دينهم القويم الذي تلاعب به شذاذ الآفاق، فشرّقوا وغرَّبوا بعيدًا عن طريق آل البيت (عليهم السَّلام)، فضلُّوا وأضلُّوا.. فسبحان مَن خلقهم، وسبحان مَن خصّهم بخصائص لم يخصَّ بها نبيًّا أو رسولًا أو مَلَكًا.. فهم صفوته وأحباؤه وأعضاده وشهوده وعلاماته ومناراته وحصونه.. فشكرًا لله تعالى الذي جعلني من عبيدهم يلحس قصاعهم المعرفية؛ فهي عندي ألذّ من العسل، وأطيب من ثمار الجنّة والحور

العين.. فشـــكرًا لأهل البيت (عليهم السَّـــلام) الذين جعلوني مأوى للعطاشـــى إلى معارفهم النفيســـة وبيان معالم دينهم القويم؛ فأزحتُ - وما زلت – الكثير من المبهمات والمتشـــابهات عن رياض الحجج الظاهرات المحكمات؛ لتكون الحجة آكد على مَن لم تبلغه الحجَّة ولم يهتدِ إلى طريق المحجة..

عودٌ على بدء:

الإجابة عن سؤالكم الكريم في ما يأتي:

ما دام المؤمنون المعتقدون بأنَّ مســـألة الخالقية، والرازقية، والإحياء، والإماتة.. كلها بيد الله تعالى وبإذنه وقدرته يجريها على أيديهم الشـــريفة؛ رفعةً لهم، وتشـــريفًا لمقاماتهم وخصـائصـهم وعلو شـأنهم عند الله تعالى، فلا محذور فيه على الإطلاق، بل هو من الإيمان بالله تعالى، والاعتقاد بســـعة قدرته وجوده وكرمه وتفضـــله حيث أعطى بعض عباده المكرمين من الأنبياء والأوصـياء والأولياء العظام (عليهم السَّـلام) قدرات مسـتمدة منه (عزّ وجلَّ) كما أعطى غيرهم من الملائكة هاتيك القدرات العظيمة التي تبهر العقول بحيث تصـــعق لجلال الله تعالى وعظيم قدرته.. وقديمًا قيل بأن"**تعدد الأعوان دليل على عظمة الســـلطان**"؛ فأعطى الملائكةَ الكروبيين القدرةَ على الإحياء والإماتة وغيرها من المهام العظام، من دون الاعتقاد بأنهم آلهة، أو أنهم فعلوا كلَّ هاتيك الخوارق من عند أنفســـهم، فجميع المســـلمين يعتقدون بأن ذلك هو من عند الله تعالى وبتفويضٍ منه (عزّ وجلَّ).. والعامة العمياء - لا سيّما السلفيون منهم - هم مَن شكّك بمسألة التفويض لبعض العباد الربانيين كالأنبياء والأوصـياء والأولياء (عليهم السَّـلام) واعتبروه شِـركًا وكفرًا بوحدانية الله تعالى، وســـرت شـــبهتهم كســـريان النار في الهشـــيم في الوســـط الحوزوي الشـــيعي، فنعتوا المعتقدين بتلك القدرات التفويضية بأنهم مغالون بأهل البيت (عليهم السَّلام).. فوالله إنهم لا يميزون بين الغلو وبين التفويض بإذن الله تعالى، بل لا يعرفون معنى الغلو الإصـــطلاحي المتفق على فســـاده وبطلانه، وقد اســـتفضـــنا بتفســـيره وتوضـــيحه في العديد من بحوثنا المكتوبة والمســـموعة، وملخصـــه هو تجاوز حدّ البشـــرية والملائكية، والدخول في ســـلك الأُلوهية.. أي أن الغلو هو رفع المخلوق إلى مقام الإله العظيم الذي لم يسـبقه العدم، ولن

يلحقه الفناء والاندثار، ولا أحد من الشيعة الإمامية يعتقد بأن أهل البيت (عليهم السَّلام) هم آلهة، بل هم عباد مكرمون لا يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون، وما عندهم من قدرات، إنما هي من الله (تبارك ذكره وتعالى مجده).. ولو تصفحوا القرآن الكريم لوجدوا الكثير من الآيات الدالة على تفويض الله تعالى لبعض عباده في مسائل الخلق والتدبير والرزق والإحياء والإماتة، وهي آيات في مقابل الآيات التي تحصر الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة بيد الله تعالى.. وقد وفقنا الله تعالى لبيانها بشكل واضح في الجزء الأول من كتابنا الجليل (**الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية**) الباب الثالث في مبحث:" **عقيدتنا في صفاته (عزّوجلَّ)**"، وتحديدًا خلال بحثنا في الصفات الثبوتية والفعلية؛ فليُراجَع.

ولكننا نوجز ههنا شيئًا منه لأهميته:

مما لا ريب فيه أنّ مسألة الخَلْقِ من الصفات التي تفرّد بها المولى (عزّ شأنه) أصالةً، فلا خالق في الكون بالعنوان الأوّلي- أصالة - غيره (سبحانه وتعالى)، فكل ما نراه من الممكنات وما يتبعها من الأفعال والآثار كلها مخلوقاته (عزّ اسمه) حقيقةً لا مجازًا، فكلّ موجود عداه هو مخلوق لله تعالى - عدا الأفعال - إما بالمباشرة أو بالتسبيب.

والدليل عليه ما تقدم معنا سابقًا من أنّه تعالى واجب الوجود بالذات، غنيٌّ حكيم، وأنّ غيرَه ممكنٌ فقيرٌ، فكما أن ذات الممكن قائمة به سبحانه، فكذا فعله فإنه مستند إلى الواجب ليفيض عليه القدرة والقوة؛ لكي يصدر الفعل من فاعله والأثر من مؤثره، وإلا أصبح الممكن آلة مسيّرة لا تملك من أمرها شيئًا على الإطلاق، فيبطل الثواب والعقاب والذمّ والمدح والحسن والقبح.

فكلّ ما في الوجود هو رشح من فيض جُوده المقدّس، وهذا حكمٌ عقلي أكدته نصوص الكتاب الكريم؛ ومنها:

﴿قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهّار﴾ [الرّعد:17].

﴿الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل﴾ [الزّمر: 63].

﴿أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخَلَقَ كلَّ شيء﴾ [الأنعام: 102].

فالعقل والنقل يحكمان بأنّ كلّ شيء صادر منه تعالى، إذ ليس في الدار غيره ديّارًا، **لكن ليس معناه أنه سبحانه لم يفوّض هذا الأصل إلى غيره ممن له قابلية الكمال، فيخلق بإذنه تعالى وتبعًا لمشيئته وأمره**، وليس كما ادّعى جمهور العامة العمياء أنه لا مؤثر في الوجود غير الرب المعبود، لا على نحو الاستقلال ولا على نحو التبعية، فبذلك يكونون قد أنكروا مبدأ السببيّة والمسببيّة في النظام التكويني؛ زعمًا منهم أن آثار الظواهر الطبيعية كلّها مفاضة منه تعالى، من دون أن يكون هناك رابطة بين الظواهر المادية وآثارها، فالنار بنظرهم إنما تكون حارة لأنه سبحانه جرت سنتُه على إيجاد الحرارة عند وجود النار مباشرةً من دون أن تكون هناك رابطة بين النار وحرارتها، وكذلك الشمس وإضاءتها فقد جرت – بزعمهم - سنتُه وقدرتُه سبحانه على إيجاد الضوء عقب الشمس من دون وجود نظام تكويني باسم السببية والمسببيّة أو العلة والمعلول، فليس في العالم سوى علة واحدة ومؤثر واحد يؤثر بقدرته وسلطانه في كلّ الأشياء من دون أسباب ومؤثرات.

وعلى هذا فقد نسبوا كلَّ شيء إليه حتى أفعال البشر؛ فإنها مخلوقة لله تعالى مباشرةً، وليس لقدرة العبد الحادثة فيه أيُّ وزن أو تأثير في فعله على الإطلاق، فالعبد كاسبٌ للفعل الإلهي وأداةٌ له.

نورد على ما تقدّم بالأمور الآتية:

أولًا: صحيح أنّ كلَّ الممكنات مخلوقة لله تعالى إلَّا أنها تتوقف في وجودها على شروطٍ لا تتحقق من دونها؛ كتحقق وجود الابن على وجود والديه، وعلى وجود شرائط أخرى زمانية ومكانية، فوجود الوالدين وبقية الشروط بعضُ أجزاء العلة التامة، فمع تدخّل القدرة الإلهية تصبح العلة تامة لتحقق وجود الولد، فهو سبحانه بالنسبة إلى مجموع العالم علة تامة إذ لا يتوقف على شيء غيره سبحانه، وأما سائر أجزاء العالم كوجود زيد فيتوقف على ما هو قبله من العلل، وما هو معه من الشرائط والمعدّات، وكلها ترجع إلى العلة الأولى.

ثانيًا: إنّ الخالقية المستقلة تنحصر به (عزّ وجلَّ)؛ لأنه الغني المطلق، وغيره فقير إليه، فلو قام غيره بعملية الخلق - كما حصل مع بعض الأنبياء والأولياء - فإنّما يقوم بذلك بإذنٍ وتسبيب منه تعالى، فالكلُّ جنده يعملون بتمكين منه لهم.

ثالثًا: إنّ القرآن يسند إلى الإنسان أفعالًا لا تقوم إلَّا به، مع إعطائه القدرة عليها؛ كأمره سبحانه العباد بالطاعة وزجرهم عن المعصية، فلو كانت الأفعال مخلوقة لله تعالى لبطل الأمر والزجر والثواب والعقاب.

رابعًا: إن القرآن الكريم يربط الظواهر الكونية بقانون العليّة والمعلولية، وفي الوقت نفسه يسندها إليه تعالى حتى لا يغترّ الإنسان بأنَّ آثار الموضوعات متحققة من تلقاء نفسها، وأمثلَتُهُ كثيرة في كتاب الله تعالى وهي على طوائف منها:

الطائفة الأولى: قوله تعالى: ﴿**وإذا مرضتُ فهو يشفين**﴾ [الشّعراء:81] .

فهنا حصر (تبارك وتعالى) الشفاء به، في حين فوّضه إلى غيره كالقرآن والعسل بقوله تعالى: ﴿**وننزّل من القرآن ما هو شفاء**﴾ [الإسراء:83].

إضافةً إلى قوله تعالى: ﴿**وأوحى ربُّك إلى النّحل أنِ اتّخِذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر وممّا يعرشون، ثمّ كُلي من كل الثّمرات فاسلكي سُبُل ربّك ذُلُلًا يخرج من بطونها شراب مختلفٌ ألوانه فيه شفاء للنّاس إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرون**﴾ [النّحل: 69-70]؛ فهنا ربط الله تعالى الشفاء بأكل العسل، وربط إيجاد العسل عند النحل بأكل الثمرات التي هي السبب في صنع العسل.

الطائفة الثانية: قوله تعالى: ﴿**أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزّارعون**﴾ [الواقعة: 64]؛ فقد بيّن (سبحانه وتعالى) هنا أنه هو الزارع الحقيقي، والزرع منحصر به تعالى، ثم إنّه بيّن في آية أخرى أن هناك أُناسًا يزرعون فقال: ﴿يُعجبُ الزارع ليغيظ بهم الكفّار﴾ [الفتح: 30] .

الطائفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿**إنّ الله هو الرّازق ذو القوّة المتين**﴾ [الذّاريات:58] .

أوضح سبحانه في الآية المباركة كون الرزق منحصرًا به تعالى، ثم في آية أخرى جعل سبحانه لذوي الطَّوْل والثروة أن يرزقوا من يلوذ بهم من الضعفاء بقوله تعالى: ﴿**وارزقوهم فيها واكسوهم**﴾ [النّساء:6] .

الطائفة الرابعة: قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾ [يونس:32] .

ففي الآية المتقدمة حصر الله (سبحانه وتعالى) التدبير به، في حين نجد أنه فوّض التدبير إلى بعض العباد من الملائكة بقوله تعالى: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فالمدبّرات أمرًا**﴾ [النّازعات:1 – 5].

وفي سورة الذاريات ما يدل بوضوح على أن من الملائكة مَن هو مفوّضٌ إليه تقسيم الأرزاق وتدبير الأمور بقوله تعالى: ﴿**وَالذَّارِيَاتِ ذروًا، فَالْحَامِلَاتِ وقرًا، فَالْجَارِيَات يسرًا، فَالْمُقَسِّمَاتِ أمرًا**﴾.

وفي سورة المرسلات ما هو آكد وأوضح، حيث قال الله (تبارك وتعالى: ﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ عُرفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عصفًا، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا، فَالْفَارِقَات فرقًا، فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا، عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ،إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ**﴾.

الطّائفة الخامسة: قوله تعالى: ﴿**إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**﴾ [الفاتحة:5].

هنا حصر الله تعالى الاستعانة به، ولكنَّه في آية أخرى أمر العباد بالاستعانة بالصبر والصلاة بقوله تعالى: ﴿**واستعينوا بالصّبر والصّلاة**﴾ [البقرة:46] .

الطائفة السادسة: قوله تعالى: ﴿**هل من خالقٍ غير الله يرزقكم من السّماء والأرض لا إله إلاّ هو فأنّى تؤفكون**﴾ [فاطر:4] .

فقد حصر الله سبحانه هنا الخالقية به تعالى، وفي آية أخرى ينسب الخلق إلى بعض أوليائه بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ [المائدة:111] .

هنا أمور أربعة يعجز البشر عن تحقيقها من دون استعانة به تعالى، فهل يقدر البشر أن يخلقوا من دون استعانة بالله تعالى؟

كلّا وألف كلّا، وما يروّج له الإلحاديون في مسألة الاستنساخ البشري - الذي روّجت له الصحف والإعلام في القرن المنصرم - بأن علماء الطب استطاعوا أن يخلقوا بالاستنساخ إنسانًا أو حيوانًا.. ما هو إلا تمويهٌ على الضعفاء لإبعادهم عن الدين وعن الارتباط بالخالق العظيم. ولو سلّمنا جدلًا بصحّة ما يقولونه ويدّعونه، فهم ليسوا إلا واسطة في جمع الجينات والنطف - بعضها مع بعض - لتشكّل كائنًا حيويًا، فهم بمثابة العلة الإعدادية لتولّد الجنين عند الأبوين اللذَين يقومان بالعملية الجنسية فتدخل النطفة الذكرية إلى رحم المرأة لتتلّقح بالبويضة، فلا يصدق عليهما أنهما خلقا جنينًا، وإنما أعدّا النطفة والبويضة لكي يلتقيا في ظرف معين وتحت شروط خاصة.

والاستنساخ البشري من هذا القبيل لو سلّمنا بصحته جدلًا، إضافةً إلى أنه بمثابة إيحاءات شيطانية؛ الغاية منه إهلاك الحرث والنسل والتلاعب بمصير البشر، وصدق الله الكبير المتعال (عزّ وجلّ) عندما قال حكايةً عن إبليس ﴿**ولأُضلّنّهم ولأُمَنّيَنَّهم ولآمرنَّهم فلَيُبتِّكنَّ آذان الأنعام ولآمرنّهم فليُغيّرنَّ خلق الله ومن يتّخذ الشّيطان وليًّا من دون الله فقد خسر خسرانًا مبينًا**﴾ [النّساء:120].

ولا يقال عن العلة الإعدادية إنها علّة فاعلة، بل تشبهها، تمامًا كمشابهة المجاز للحقيقة، فليس مَن صنع الكرسي يقال عنه إنَّه خالقها، بل مُرَكِّبُها؛ لأنّ الخلق معناه أن يُوجِدَ المواد الأولى من العدم، لا أن يركّبها بعد فرض وجودها خارجًا، فما يروّج له اليوم من الاستنساخ ما هو إلَّا ابتزاز المعتقدات من نفوس أتباع الشرائع والأديان ﴿**فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ**﴾ [النّور:64].

ولا يقاس الاستنساخ على مسألة التفويض الإلهي لبعض مخلوقاته كالملائكة والأنبياء والأولياء (عليهم السَّلام)؛ فهما بعيدان كلَّ البُعدِ، متباينان، ومختلفان كليًّا جوهرًا وماهيةً. وكما أشرنا أعلاه، فإن الإستنساخ - على فرض صحته - هو نوع تركيب، لا أنَّه خلقٌ من العدم.. فتأملوا.

يتلخّص مما ذكرنا أن الآيات على طائفتين:

الطائفة الأُولى: تحصر الأمور بالله تعالى على وجه الأصالة.

والطائفة الثانية: تنسب هاتيك الأمور إلى غيره تبارك وتعالى؛ تبعًا لإذنه وأمره وتحت ظلّ قدرته، وبما أن هذا العالم هو عالم الأسباب والمسببات، وأن كلَّ ظاهرة لا بدّ أن تصدر وتتحقق في مجراها الخاص بها المقرّر لها في عالم الوجود، ينسب القرآن هذه الآثار إلى أسبابها الطبيعية دون أن تُخرج الله (عزّ وجلَّ) من سلطانه، ففعل هذه الموجودات هو فعله تعالى لأنه أفاض عليها الحياة والقدرة، فنسبة هذه الأمور إلى الموجود الطبيعي نفسه إشارة إلى الجانب المباشري فيما تكون نسبتها إلى «الله» إشارة إلى الجانب التسبيبي وقد أشار القرآن إلى هاتين النسبتين بقوله تعالى: ﴿**وما رميتَ إذ رميتَ ولكنّ الله رمى**﴾ [الأنفال:18].

فقد نسَبَ الله تبارك ذكره إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلَّم) أنه رمى ﴿**إذ رميتَ**﴾، في حين يصف نفسه تعالى أنه هو الرامي الحقيقي ﴿**ولكنَّ الله رمى**﴾؛ فالله تعالى رامٍ بالتسبيب حيث أعطى القوة والقدرة والحياة للعبد لكي يرمي ولولاه تعالى لما قدر العبد على الرمي أو الفعل المباشري الصادر من العبد.. فتأمل فإنه دقيق.

وأما حديث: "نزّهونا عن الربوبيّة وقولوا فينا ما شئتم، ولن تبلغوا"؛ فقد ورد[1] لفظ "نزلونا" باختلاف يسير وبألسنةٍ متعددة كلها تصب في مضمون واحدٍ.. وما ورد أيضًا من كلمات جليلة - كما في بعض الروايات - من أنهم (عليهم السَّلام) قالوا: "**بنا رُزِقَ الورى، وبنا عُبِدَ اللَّه، و أنا داحيها و أنا مرسيها..**"، وأمثال ذلك لا يدل على التفويض الاستقلالي المنفصل عن القدرة الإلهية وفي عرضها، بل هو على نحو القدرة الطولية التابعة للقدرة الإلهية الكبرى.. وبالتالي لا يكون الاستقلال في التأثير، بل الواسطة في التأثير.. ومما يدل على أن الربوبية بمعنى الألوهية ما ورد من كونهم عبيدًا مخلوقين كما جاء في إسماعيل بن عبد العزيز قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السَّلام): "ضع لي في المتوضأ ماء"، فقمتُ

---

[1] في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السَّلام): 50، بصائر الدرجات: 236 / 5، البحار 25: 274 / 20.

فوضعتُ الماءَ، فدخل، فقلتُ في نفسي: أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضأ ويتوضأ؟! فلم يلبث أن خرج وقال: "يا إسماعيل بن عبد العزيز، لا ترفعوا البناء فوق طاقته، فينهدم، اجعلونا عبيدًا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم"، قال إسماعيل: وكنت أقول فيه ما أقول فيه.

فقد كان إسماعيل يعتقد الألوهية في الإمام المعظَّم جعفر الصادق (عليه السَّلام)، من هنا زجره الإمام (عليه السَّلام) بقوله: "لا ترفعوا البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا عبيدًا مخلوقين.."، وورد نظيره عن خالد بن نجيح قال: دخلتُ على أبي عبد الله (عليه السَّلام) وعنده خلق، فقنعتُ رأسي وجلستُ في ناحية، وقلت في نفسي: وَيْحَهم ما أغفَلَهم عند مَن يتكلمون؟! **فناداني: "أنا والله عبدٌ مخلوقٌ، لي ربٌّ أعبده**، إن لم أعبده عذبني بالنار". فقلتُ: لا أقول فيك إلا قولك في نفسك".

لقد روى المحدّث الجليل الصفار (رضي الله عنه) ثمانية أحاديث في باب تحت عنوان:"باب في الأئمة (عليهم السَّلام) انهم يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص بإذن الله"؛ نستعرض حديثين فقط للاختصار هنا:

(الحديث الأول): حدثني أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن مثنى الحناط عن أبي بصير قال: دخلت على أبى عبد الله (عليه السَّلام) وأبى جعفر (عليه السَّلام) وقلت لهما: أنتما ورثة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟، قال: "نعم"، قلتُ: فرسول الله وارث الأنبياء علم كلما علموا؟، فقال لي: "نعم"، فقلتُ: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟، فقال لي: "**نعم بإذن الله**"، ثم قال: "ادنُ مِنّي يا أبا محمد"، فمسح يده على عيني ووجهي وأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلَّ شئ في الدار، قال: "أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنَّة خالصًا؟"، قلت: أعودُ كما كنتُ، قال: فمسح على عيني فعُدتُ كما كنتُ، قال عليٌّ: فحدثت به ابن أبي عمير فقال: أشهد أن هذا حق كما أنّ النهار حق.

(الحديث الثاني):حدثني أحمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (عليه السَّلام) قال: قلت له: أسألك

جُعِلتُ فِداكَ عن ثلاث خصـــال، أنفي عني فيه التقية؟ قال: "فقال ذلك لك؟"، قلتُ: أســـألك عن فلان وفلان! قال: "فعليهما لعنةُ الله بلعناته كلِّها، ماتا والله وهما كافران مشـركان بالله العظيم"، ثم قلتُ: **الأئمة يحيون الموتى ويبرئون الأكمه والأبرص ويمشـون على الماء؟ قال: "ما أعطى الله نبيًا شيئًا قط إلَّا وقد أعطاه محمدًا (صلّى الله عليه وآله وسـلَّم) وأعطاه ما لم يكن عندهم"، قلتُ: وكلّ ما كان عند رسـول الله (صـلى الله عليه وآله) فقد أعطاه أمير المؤمنين (عليه السَّـلام)؟ قال: "نعم، ثم الحسـن والحسـين (عليهما السَّلام)، ثم من بعد كلِّ إمامٍ إمامًا إلى يوم القيامة مع الزيادة التي تحدثُ في كلِّ سنة وفي كلِّ شهر"، ثم قال: "إي والله في كلِّ ساعة".**

فهم (عليهم السَّلام) وإن تحلوا بالخصائص الكبرى والمناقب العُليا والمفاخر العظمى إلَّا أنهم عبيد مخلوقون.. وكونهم يخلقون ويرزقون.. إلخ، لا يسـتلزم بالضـرورة أنهم آلهة يُعبدون، فهذا من سـابع المسـتحيلات القطعية، ولو كان إحياؤهم للموتى، وإرزاقهم للمرزوقين، وخلقهم للمخلوقين من الأمور الدالة على الأُلوهية فلماذا – إذًا – ذكر لنا القرآن الكريم ما أشرنا إليه أعلاه من الملائكة المدبرين للأمور، والمقسمين للأرزاق، والملقين للذكر؟!!.. ولماذا ذكر لنا أيضًا قصة أحد الأنبياء كعيسى (عليه السَّلام) الخالق من الطين كهيئة الطير، والسـادة الرازقين لعبيدهم والكاسـين لهم؟!.. فما ثبت للنبيّ إبراهيم الخليل (عليه السَّلام) من إحياء الطيور بعد تقطيعهنّ، وللنبي عيسى بن مريم (عليهم السَّلام) من الإحياء للموتى وخلق الطير (وهو الخفاش) لا ريب في ثبوته لأهل البيت (عليهم السَّـلام)؛ كما جاء في النصـوص الوَلَويَّة المتقدِّمة عن أبي حمزة الثمالي وأمثاله بما معناه: (ما من منقبة أو فضيلة كانت لنبيّ من الأنبياء إلَّا وأوتي النبيّ وآله مثلها).

وليكن معلومًا لدى القاصـي والداني، ولدى العالم والمتعلم.. أن الإحياء والإماتة والرزق.. إلخ، كلّه من تفويض الله تعالى لبعض عبيده المعصـومين (عليهم السَّـلام)، والتفويض شأنٌ من شؤون الولاية التكوينية لهم، ولا يستلزم ذلك الاستقلالية عن إرادة الله تعالى ولا الشـرك به تعالى - كما ادَّعى محمد حسـين فضـل الله البيروتي تبعًا للخط السـلفي الحنبلي - فإنه مُحالٌ عقلًا.. وهؤلاء السـلفيون ومَن تابعهم ومشـى على خطاهم،

مخبَّلون في عقولهم وشـياطين في أفكارهم وأرواحهم.. !! وقد فنّدنا مقالة البيروتي المتقدم الذكر في الجزء الثاني من كتابنا الجليل (الفوائد البهية في شـرح عقائد الإمامية)[1]، وشـرحنا فيه نظرية التفويض، وفرَّقنا بين التفويض الصـحيح وبين التفويض الباطل، فليراجعه العلماء قبل المتعلمين، فذلك خيرٌ لهم وأزكى.. ولله الشـكر والفضـل ومعه نبيّه وأوليائه من آل محمد (عليهم السَّلام).

والحاصل: إن آل البيت (عليهم السَّلام) هم ولاة الأمور والتدبير والتفويض من الله تبارك ذكره على نحو التبعية لله تعالى، وليس على نحو الاسـتقلالية عن إرادة الله تعالى، فإنه غير ممكنٍ عقلًا، وبالتالي لا يجوز الاعتقاد بذلك، وما أجراه الله (سبحانه وتعالى) على يد النبيّ عيسى (عليه السَّلام) وقبله جدّه النبيّ إبراهيم (عليه السَّلام) من الإعجاز بإحياء الموتى، وهذا الإعجاز عمليًا خلق بعد فناء، جرى بعينه لأهل البيت (عليهم السَّـلام)؛ وتشـهد لذلك عدة أخبار - فاقت التواتر - دلت على أنهم (عليهم السَّـلام) خلَقوا بعض الحيوانات لإلقاء الحُجَّة على الخلق المنكوس، ننتخب منها روايتين هما الآتيتان:

الأولى: قصة خلق الإمام المعظَّم عليّ الرضا (عليه السَّلام) بقدرة الله تعالى للأسدين المصوَّرينِ على وسادتين في مجلس المأمون العباسي (لعنه الله تعالى)، وافتراسهما للحاجب الناصبي.

الثانية: معجزة الإمام المعظَّم الباقر (عليه السَّـلام) لما صـوّر فيلًا من طين ثم نفخ فيه فصار فيلًا وطار به في السماء.

أمَّا المعجزة الأولى: فقد رواها عامة المؤرخين المحدثين من علماء الشـيعة الذين دونوا المعاجز لأهل البيت (عليهم السَّلام)[2]، وإليكم القصة الإعجازية كما جاءت في عيون الأخبار للصدوق:

---

[1] الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية: ج2 ص 176 - 185.

[2] منهم الشيخ الصدوق في عيون أخبار الإمام الرضا (عليه السَّلام) ج 2 ص 183 / دلائل الإمامة للطبري ص 382 باب 41.

قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن القسم المفسِّر (رضي الله عنه) قال: حدثنا يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما عن الحسن بن علي العسكري عن أبيه علي بن محمد عن أبيه محمد بن علي (عليهما السَّلام) إن الرضا (عليه السَّلام) علي بن موسى لما جعله المأمون وليَّ عهده احتبس المطر، فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصبين على الرضا يقولون انظروا لما جاءنا عليُّ بن موسى (عليه السَّلام) وصار وليَّ عهدنا، فحبس الله عنا المطر واتصل بالمأمون فاشتد عليه، فقال للرضا (عليه السَّلام): قد احتبس المطر، فلو دعوت الله عز وجل أن يمطر الناس فقال الرضا (عليه السَّلام):"نعم"، قال: فمتى تفعل ذلك؟ وكان ذلك يوم الجمعة، قال: "يوم الاثنين فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاني البارحة في منامي ومعه أمير المؤمنين عليّ (عليه السَّلام) وقال: يا بني انتظر يوم الاثنين فابرزْ إلى الصحراء واستسقِ، فإن الله تعالى سيسقيهم وأخبِرْهم بما يُريكَ اللهُ ممّا لا يعلمون من حالهم ليزداد علمُهم بفضلك ومكانك من ربك (عز وجل)". فلما كان يوم الاثنين غَدَا إلى الصحراء، وخرج الخلائق ينظرون، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "اللهم يا رب **أنت عظَّمت حقَّنا أهلَ البيت فتوسَّلوا بنا كما أمرتَ وأملوا فضلك ورحمتك، وتوقعوا إحسانك ونعمتك، فاسقِهم سَقيًا نافعًا عامًا غير رايث ولا ضائر**، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم". قال: فوالذي بعث محمدًا بالحق نبيًا لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم، وأرعدت وأبرقت، وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحي عن المطر، فقال الرضا (عليه السَّلام): "على رسلكم أيها الناس فليس هذا الغيم لكم، إنما هو لأهل بلد كذا"، فمضت السحابة وعبرت. ثم جاءت سحابة أخرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا، فقال: "على رسلكم فما هذه لكم، إنما هي لأهل بلد كذا"، فما زالت حتى جاءت عشرُ سحابات وعبرت ويقول عليُّ بن موسى الرضا (عليه السَّلام): في كل واحدة: على رسلكم ليست هذه لكم إنما هي لأهل بلد كذا. ثم أقبلت سحابة حادية عشرة فقال: "أيها الناس هذه سحابة بعثها الله (عز وجل) لكم فاشكروا الله على تفضُّله عليكم، وقوموا إلى مقاركم ومنازلكم فإنها مسامة لكم ولرؤوسكم ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا إلى مقاركم، ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله، ونزل من

على المنبر وانصرف الناس، فما زالت السحابة ممسكة إلى أن قربوا من منازلهم، ثم جاءت بوابل المطر، فملئت الأودية والحياض والغدران والفلوات، فجعل الناس يقولون: هنيئًا لولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كرامات الله (عز وجل)[1]، ثم برز إليهم الرضا (عليه السَّلام)، وحضرت الجماعة الكثيرة منهم، فقال: "يا أيها الناس اتقوا الله في نعم الله عليكم فلا تنفروها عنكم بمعاصيه، بل استديموها بطاعته وشكره على نعمه وأياديه، **واعلموا أنكم لا تشكرون الله بشئ بعد الايمان بالله وبعد الاعتراف بحقوق أولياء الله من آل محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحب إليه من معاونتكم لاخوانكم المؤمنين** على دنياهم التي هي معبر لهم إلى جنان ربهم، فان مَن فعل ذلك كان من خاصة الله تبارك وتعالى وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذلك قولًا ما ينبغي لقائل أن يزهد في فضل الله عليه فيه إن تأمله وعمل عليه، قيل: يا رسول الله هلك فلان يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بل قد نجى ولا يختم الله عمله إلا بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيئات ويبدلها حسنات، إنه كان يمر مرة في طريق عرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر، فسترها عليه ولم يخبره مخافة أن يخجل، ثم إن ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له: أجزل الله لك الثواب وأكرم لك المآب ولا ناقشك في الحساب، فاستجاب الله له فيه فهذا العبد لا يختم الله له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن، فاتصل قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذا الرجل فتاب وأناب وأقبل على طاعة الله (عز وجل) فلم يأت سبعة أيام حتى أُغير على سرح المدينة فوجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أثرهم جماعة ذلك الرجل أحدهم فاستشهد فيهم، قال: الإمام محمد بن علي بن موسى (عليهم السَّلام): وعظم الله تبارك وتعالى البركة في البلاد بدعاء الرضا (عليه السَّلام) **وقد كان للمأمون من يريد أن يكون هو وليّ عهده من دون الرضا (عليه السَّلام)** وحساد كانوا بحضرة المأمون للرضا (عليه السَّلام) فقال للمأمون بعض أولئك: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تكون[أن يكون] تاريخ الخلفاء في اخراجك هذا الشرف العميم والفخر

---

[1] وفي نسخة: الثاقب في المناقب لإبن حمزة الطوسي صفحة 469:"كنز آيات الله".

العظيم من بيت ولد العباس إلى بيت ولد عليّ، لقد أعنتَ على نفسك وأهلك، **جئتَ بهذا الساحر ولد السحرة وقد كان خاملًا فأظهرتَه، ومتضعًا فرفعتَه، ومنسيًا فذكرتَ به، ومستخفًا فنوّهتَ به، قد ملأ الدنيا مخرقة وتشوقًا بهذا المطر الوارد عند دعائه**، ما أخوفني أن يخرج هذا الرجل هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد عليّ؟ بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك والتواثب على مملكتك، هل جنى أحدٌ على نفسه ومُلكه مثل جنايتكَ؟ **فقال المأمون: كان هذا الرجل مستترًا عنا يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله وليَّ عهدنا ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما ادَّعى في قليل ولا في كثير، وأن هذا الأمر لنا دونه، وقد خشينا إنْ تركناه على تلك الحالة أن ينفتق علينا منه ما لا نسده**، ويأتي علينا منه ما لا نطيقه، والآن فإذا قد فعلنا به ما فعلناه وأخطأنا في أمره بما أخطأنا وأشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما أشرفنا فليس يجوز التهاون في أمره، **ولكنا نحتاج أن نضع منه قليلًا قليلًا حتى نصوره عند الرعايا بصورة من لا يستحق لهذا الأمر ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه**، قال الرجل: يا أمير المؤمنين فولّني مجادلته فإني أفحمه وأصحابه، وأضع مِن قَدْرِه، فلولا هيبتك في نفسي لأنزلتُه منزلته، وبيَّنت للناس قصوره عما رشحته له، قال المأمون: ما شئ أحب إليَّ من هذا، قال: فاجمع جماعة وجوه مملكتك من القواد والقضاة وخيار الفقهاء لأبيّن نقصه بحضرتهم، فيكون أخذًا له عن محلِّه الذي أحللتَه فيه على علم منهم بصواب فعلك، قال: فجمع الخلق الفاضلين من رعيته في مجلس له واسع، وقعد فيه لهم، وأقعد الرضا بين يديه في مرتبته التي جعلها له، فابتدأ هذا الحاجب المتضمن للوضع من الرضا (عليه السَّلام)، وقال له: إن الناس قد أكثروا الحكايات وأسرفوا في وصفك، فما أرى أنك إن وقفت عليه إلا وبرئت منه إليهم، وأول ذلك أنَّك قد دعوت الله في المطر المعتاد مجيئه، فجاء، فجعلوه آية معجزة لك، أوجبوا لك بها أن لا نظير لك في الدنيا، وهذا أمير المؤمنين - أدام الله مُلكَه وبقاءَه - لا يُوازَن بأحدٍ إلا رجح، وقد أحلَّكَ المحلَّ الذي قد عرفت، فليس من حقه عليك أن تسوّغَ للكذابين لك فيما يدعونه. قال الرضا (عليه السَّلام): "ما أدفع عباد الله أن يتحدثوا بنعم الله (عزّ وجلّ)، وإن كنت لا أبغي بذلك بطرًا ولا أشرًا، وأما

ذكرك أن صاحبك أحلني هذا المحل، فما أحلني إلا المحل الذي أحله ملك مصر يوسف الصدّيق (عليه السَّلام)، وكانت حالهما ما قد عرفت"، فغضب الحاجب عند ذلك فقال: **يا بن موسى، لقد عدوتَ طَورَكَ، وتجاوزتَ قَدرَكَ أن بعث الله مطرًا مقدرًا وقتُه، لا يتقدّم الساعة ولا يتأخر، جعلتَهُ آيةً تستطيل بها، وصولةً تصول بها، كأنَّك جئتَ بمثل آية الخليل إبراهيم (عليه السَّلام) لمّا أخذ رؤوس الطير بيده ودعا أعضاءها التي فرقها على الجبال فأتينه سعيًا، وتركَّبْن على الرؤوس، وخفقَتْ طائرةً بإذن الله (عزّوجلّ)، فإن كنتَ صادقًا فيما تُوهِم، فأحيِ هاتين الصورتين وسلطهما عَلَيَّ، فإن ذلك يكون حينئذ آية ومعجزة**، وأمَّا المطر المعتاد فلست بأحق أن يكون جاء بدعائك دون دعاء غيرك من الذين دعوا كما دعوت.

وكان الحاجب أشار إلى أسدين مصوَّرَين على مسندِ المأمون الذي كان مستندًا إليه، وكانا متقابلين على المسنَد، فغضب عليُّ بنُ موسى (عليه السَّلام) وصاح بالصُّورتين: "دونكما الفاجر، فافترِساهُ، ولا تُبقِيا له عينًا ولا أثرًا، فوثبَتِ الصُّورتان وقد عادتا أسدين، فتناولا الحاجبَ ورضَّضاه وهشَّماه، وأكلاه ولَحَسَا دمَهُ، والقوم متحيرون ينظرون. فلما فَرَغَا منه، أقبلا على الرضا (عليه السَّلام)، وقالا: يا وليّ الله في أرضه، ماذا تأمرنا أن نفعلَ بهذا، أنفعلُ به ما فعلناه بصاحبه؟ وأشارا بالقول إلى المأمون، فغشي عليه ممّا سمع منهما، فقال الرضا (عليه السَّلام) لأصحاب المأمون وحاشيته: "أفيضوا عليه ماء الورد والطيب". ففعلوا به ذلك، فأفاق من غشيته، وعاد الأسدان يقولان: إئذن لنا أن نُلحِقَهُ بصاحبه الذي أفنيناه. قال: "لا، فإن لله (عزّ وجلّ) فيه تدبيرًا هو مُمضِيه". قال الأسدان: فما تأمرنا؟ قال: **"عُودَا إلى مقرِّكما كما كنتما"**. فعادا إلى المسند، وصارا صورتين كما كانا.

فقال المأمون: الحمد لله الذي كفاني شر حميد به مهران - يعني بذلك الرجل المفترَس- . ثم قال للرضا (عليه السَّلام): يا بن رسول الله، هذا الأمر لجدكم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم لكم، ولو شئت لنزلت لك عنه. فقال الرضا (عليه السَّلام): **"لو شئتُ لما ناظرتُكَ ولم أسألْكَ، فإن الله (عزّوجلّ) أعطاني من طاعة سائر خلقه مثل ما**

رأيت من طاعة هاتين الصورتين، إلا جهال بني آدم، فإنهم وإن خسروا حظوظهم، فلله (عزَّوجل) فيهم تدبير، وقد أمرني ربي بترك الاعتراض عليك، وإظهار ما أظهرته من العمل من تحت يدك، كما أمر يوسف الصدّيق (عليه السَّلام) بالعمل من تحت يد فرعون مصر". وأدبر المأمون ضئيلًا في نفسه، إلى أن قضى في عليّ بن موسى الرضا (عليه السَّلام) ما قضى.

✓ **تعقيب مهم على الرواية الشريفة:**

لقد قام الإمام الرضا (عليه السَّلام) بشيئين مهمين بقدرة الله تعالى هما: **خلق** الأسدين المصوَّرين من العدم، **والإماتة** والإفناء بعد الوجود، فالخلق ظهر بتحويل الصورتينِ إلى أسدين حقيقة، والإماتة ظهرت لما قال لهما: "عودا إلى مقركما كما كنتما". فثمة أمران مهمان قام بهما مولانا وسيّدنا المعظم الإمام الرضا (عليه السَّلام) بنفسه هما: الإحياء ثم الإماتة، وهما لا يخرجان عن قدرة الله تعالى، فقد قام بهما بقدرته المستمدة من قدرة الله على نحو التبعية لله تعالى لا على نحو الاستقلال.. فتأملوا.

وقد سبق الإمامُ الكاظمُ ابنَه الإمامَ الرضا (عليهما السَّلام) حين قلب الصورة على الستار إلى أسدٍ أكلَ الساحرَ، فقد روي عن علي بن يقطين، قال: استدعى الرشيد رجلًا يبطل به أمر موسى بن جعفر (عليهما السَّلام) ويقطعه ويخجله في المجلس، فانتدب له رجلَ معزَم (الرجل الذي عنده العزيمة والرقي) فلما حُضِّرت المائدة عمل ناموسًا على الخبز، فكان كلما رام أبو الحسن (عليه السَّلام) تناوُلَ رغيفٍ من الخبز طار من بين يديه، واستفز هارونَ الفرحُ والضحكُ لذلك، **فلم يلبث أبو الحسن (عليه السَّلام) أن رفع رأسه إلى أسدٍ مصوَّرٍ على بعض السُّتور، فقال له: " يا أسد الله، خُذْ خُذْ عدُوَّ الله"**، قال: **فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع، فافترس ذلك المعزم**، فخر هارون الرشيد وندماؤه على وجوههم مغشيًا عليهم، وطارت عقولهم خوفًا من هول ما رأوه، فلما أفاقوا، قال هارون لأبي الحسن (عليه السَّلام): أسألك بحقي عليك لما سألت الصورة أن ترد الرجل؟ قال (عليه السَّلام):" إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعته من حبال القوم وعِصيّهم، فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعتْهُ مِن هذا الرجل".

وروي في باب معجزات الإمام علي الهادي (عليه السَّـلام) نظيره كما في كتاب مدينة المعاجز للعلامة السيّد هاشم البحراني عن صاحب (ثاقب المناقب) والراوندي: عن زرافة حاجب المتوكل أنه قال: وقع رجل مشعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل يلعب لعب الحقة[1] لم ير مثله، وكان المتوكل لعّابًا، فأراد أن يُخجِلَ عليَّ بن محمد بن الرضا (عليهم السَّلام)، فقال لذلك الرجل: إن أنتَ أخجلتَه أعطيتُكَ ألفَ دينار زكية، قال: تقدم بأن يخبز رقاق خفاف[2]، واجعَلْها على المائدة وأقعِدْني إلى جنبه، ففعل، وحضر عليُّ بن محمد (عليه السَّلام) للطعام وجعلت له مسورة (المسورة: متكأ من الجلد) عن يساره، وكان عليها **صورة أسد** وجلس اللاعب إلى جانب المسورة، فمد الإمام عليُّ بن محمد الهادي (عليهما السَّلام) يده إلى رقاقة فطيرها ذلك الرجل في الهواء، ومد يده إلى أخرى فطيرها في الهواء، ومد إلى أخرى ثالثة فطيرها، فتضاحك الجميع، **فضرب عليُّ بن محمد (عليهما السَّلام) يده على تلك الصورة التي في المسورة وقال: خذ عدو الله، فوثبت تلك الصورة من المسورة فابتلعت الرجل، وعادت في المسورة كما كانت**، فتحير الجميع، ونهض علي بن محمد (عليهما السَّلام) يمضي، فقال له المتوكل: [سألتك] ألا جلست ورددته، فقال: "والله لا يُرى بعدها، أتسلِّطُ أعداءَ الله على أولياءِ الله؟!"، وخرج من عنده فلم يُرَ الرجلُ بعد ذلك.

بما تقدم: اتضح أن هذه المعاجز الثلاث دلت على الإحياء والإماتة معًا، فقد خلقوا من الجماد حيوانًا هو الأسد ثم أماتوه وأرجعوه جمادًا مصورًا على المسند أو الستار.. فكان عملهم إعجازًا تكوينيًا مباشرًا، ولكنّ المسبِّبَ هو الله تعالى، فقدرتهم من قدرة الله تعالى، وأمرهم من أمر الله تعالى؛ فلا إثنينية في القدرة على الإطلاق، بل قدرتهم من نفس قدرة الله تعالى.. وبالتالي لا تكون قدرتهم على نحو الاستقلال في التأثير من دون ارتباطٍ بالله (تبارك ذكره)، بل قدرتهم واسطة في التأثير.. فتأملوا.

وأمّا الإشكال الذي أثاره الخط السلفي الحنبلي في الوسط الحوزوي الشيعي في وقتنا الحاضر وهو أن الإحياء والإماتة والخالقية والرازقية منحصرة بالله تعالى، فتعميمه

---

[1] **الحُق والحُقه:** بالضم: الوعاء من الخشب وغيره، وكان المشعبذون يلعبون بالحقة بحركات سريعة.

[2] الصحيح كما ورد في نسخة وفيات الأئمة: تقدم وائتِ لنا بخبز رقاق خفاف.

إلى غيره - من عباده الذين اصطفى واختار – يُعتبر – بزعمهم الفاسد - غلوًا وشركًا وكفرًا.. وبالتالي فإنّ الروايات الكاشـــفة عن معاجزهم وولايتهم التكوينية الدائرة حول إحيائهم للموتى وما شابه ذلك هي روايات ملفَّقة وموضوعة بحسب زعمهم الفاسد.. !!

هذا الكلام هرطقة تنمُّ عن جهلِ صاحبها بمفهوم المعجزة في باب العقائد والمعارف التوحيدية، لذا لا يجوز الاعتماد على ما نفثوه وشككوا به.. فمنذ متى كان الاستغراب دليلًا يُعتمد عليه ويُركن إليه في عقيدتنا كشيعة إماميين؟!!.. وبناءً على ذلك؛ فإنّ الاستغراب لا يستلزم الوضع، خصوصًا إذا كانت المعجزة في دائرة الممكن لا المستحيل، وإلَّا لكانت معاجز الأنبياء ضربًا من المستحيل، وهو خُلف ثبوتها وتحققها الخارجي؛ وهذه المعجزة وغيرها - من المعاجز التي بلغت الآلاف وقد أثبتها العلامة الجليل السيّد هاشم البحراني في كتابه القيّم "مدينة المعاجز" - قامت على أساس أنها من دلائل الإمامة من جهة، ولأنها من شؤون ولايتهم التكوينية الكبرى من جهة أخرى، وقد تواتر مضمونها في كتب الحديث والسير، ولا يجوز أن يُستنكرَ أو يُنكَرَ وقوعُها بعد أن ثبت نظيرُها في القرآن الكريم والسنن الإلهية في أوليائه وأنبيائه (عليهم السَّلام).

وأمَّا المعجزة الثانية: فهي معجزة الإمام المعظَّم محمد الباقر (عليه السَّلام) لما صوّر فيلًا من طين، ثم نفخ فيه فصار فيلًا وطار به في السماء.. ولهذه المعجزة نظائر تفيد بكيفية إحيائهم للطيور المقطَّعة وإعادتها إلى الحياة من جديد، وخَلْقِهم بإذن الله للأسد المرسوم على ستار أو مسند كما أشرنا سابقًا.. فالمهم بيانه ههنا هو أن معاجزهم متعددة ومتنوعة تشمل كل ما جرى على الأنبياء من معاجز، حيث إنّهم أجروا مثلها بل جاؤوا بأعظم منها، وهذه المعاجز مبثوثة في كتب معاجزهم (عليهم السَّلام) لا سيّما الكتاب الجليل (مدينة المعاجز) للعلامة الجليل السيّد هاشم البحراني (رحمه الله)، وكتابه الآخر النفيس (ينابيع المعاجز وأصول الدلائل).

وثمة كتابان آخران لعالمين آخرَين هما: (نوادر المعجزات) لسعيد بن هبة الله الراوندي وهو من تتمات كتابه" الخرايج والجرائح"، وكتاب: (نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة(عليهم السَّلام) لمحمد بن جرير بن رستم أبي جعفر الآملي الطبري، ففيهما

الكثير من هاتيك المعاجز الدالة على أنهم (عليهم السَّـلام) خلقوا بإذن الله تعالى، وفي طول قدرته وإرادته ومشـيئته، نتبرك بذكر واحدة منها لمولانا المعظَّم محمَّد الباقر (صـلوات الله عليه وآله)، فقد روى أبو جرير الطبري الشـيعي[1]، قال: حدثنا أحمد بن منصـور الرقادي عن شـاذان بن عمرو عن مرة بن قبيصـة بن عبد الحميد، قال: قال لي جابر بن يزيد الجعفي: رأيت مولاي الباقر (عليه السَّـلام) وقد صـنع فيلًا من طين فركبه وطار في الهواء، حتى ذهب إلى مكة عليه ورجع، فلم أصـدق ذلك منه حتى لقيت الباقر (عليه السَّـلام) فقلت له: أخبرني جابر عنك بكذا وكذا، فصنع مثله، وركب، وحملني معه إلى مكة، وردَّني.

ومعجزة خلق الفيل من الطين نظير معجزة النبيّ عيسـى (عليه السَّـلام) للخفاش عندما صـنع خفاشًـا من طين ثم نفخ فيه فصـار طيرًا، وكلا الخلقين: الباقري والعيسـوي (عليهما السَّـلام) مقرونان بخلقهما للطير والفيل بإذن الله تعالى وقدرته التي حباها لأنبيائه وأوليائه العظام (عليهم السَّـلام)، ولكنّ خلقَ فيلٍ يطير هو أعظم من خلق الخفاش الذي من عادته الطيران.. ولعلّ ذلك كان ليُري الآخرين عظيم قدرتهم المسـتمدة من قدرة الله تعالى وأن فضل آل البيت (عليهم السَّلام) أعظم من فضل روح الله عيسى بن مريم (عليهما السَّلام)، فالنبيّ عيسى (عليه السَّلام) جرت على يديه الشـريفتين معجزة الإحياء للخفاش للتدليل على أنه مبعوث من قبل الله تعالى، وكذلك جرى على يدَي الإمام الباقر (عليه السَّـلام) ما هو أعظم من الخفاش للتدليل على أن الإمام الباقر (عليه السَّـلام) منصـوب ومبعوث من قبل الله تعالى، لكنّه إمامٌ وليس نبيًّا مرسـلًا بشـريعة جديدة في مقابل شـريعة جدّه رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه).. فكلتا المعجزتينِ لإثبات موردهما هما: النبوة والإمامة، والإمامة أجلُّ رتبةً من مقام النبوة، والإمام (عليه السَّـلام) أعظم شـأنًا من النبيّ عيسى (عليه السَّلام)؛ وإلَّا لانتفت أفضلية عيسى (عليه السَّلام) على الإمام المهدي (عليه السَّلام) - على فرض أن النبيَّ عيسى أفضل من الإمام المهدي (عليه السَّلام) -.. مع الإشارة إلى أنّنا فصّـلنا أهمية الإمامة على عامة المراتب المتقدمة عليها كما في بحث إمامة النبيّ

---

[1] دلائل الإمامة: ص 220، باب: في ذكر معجزاته.

إبراهيم الخليل (عليه السَّلام) المتأخرة عن نبوته ورسالته في كتابنا الجليل (الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية) فليُراجع.

وبعبارةٍ أُخرى: لو كانت النبوة أفضل من الإمامة، فكيف سيصلي نبيّ الله عيسى (عليه السَّلام) خلف الإمام المهدي (صلّى الله عليه وآله وسلَّم)؟!! وكيف سيكون وزيره؟!! – وقد أقرَّ العامة بذلك في مصادرهم الحديثية، حيث ذكروا أنّ نبيَّ الله عيسى يأتمر بأمره ويدعو إلى إمامته وولايته، كما يدعو المسيحيين إلى رسالة النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلَّم) وإمامة وولاية أمير المؤمنين وأهل بيته الطيبين الطاهرين (عليهم السَّلام).. وبالتالي لماذا الاستغراب والاستهجان من قبل النواصب والبتريين المنتسبين للتشيُّع الحنيف الذين شككوا بقانون المعجزات المتعلق بالإمامة؟!..

صدق مولانا المعظَّم جعفر الصادق (عليه السَّلام) حين قال للمفضل بن عمر وهو يقصّ عليه وجوه المقارنة بين آل البيت (عليهم السَّلام) وبين الأنبياء والرسل فقال: "قول الله تعالى في قصة عيسى (عليه السَّلام): ﴿إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ هذا يا مفضل ما أقمنا به الشاهد من كتاب الله لشيعتنا مما يعرفونه في الكتاب ولا يجهلونه **ولئلا يقولوا ألا إن الله لا يحيي الموتى في الدنيا ويردهم الينا ولزمهم الحجة من الله إذا أعطى أنبياءه ورسله الصالحين من عباده فنحن بفضله علينا أولى فأعطانا ما أعطوا ويزاد عليه**.".

والحاصل: إن المسائل التي اختلف عليها الشيعة الإمامية هي: "الخالقية والرازقية والإحياء والإماتة" من دون تدبر في الأدلة العقلية والنقلية، فجمدت عقول المنكرين لهذه المسائل واعتبروها شركًا وغلوًا، وهو غفلة عن المراد وميلٌ إلى فرق ومذاهب الضلال، والصحيح هو ما أشرنا إليه في مطاوي بحثنا هذا ونظائره في بحوثنا الأخرى من أن آل البيت (عليهم السَّلام) يحيون ويرزقون ويخلقون ويميتون بإذن الله وقدرته على نحو التبعية وليس على نحو الاستقلال، وخلاف ذلك مستحيل عقلًا ومرفوض شرعًا، فهم (عليهم السَّلام) أوعية مشيئة الله تعالى ومرآة قدرته وفيض رحمته وسفن نجاته.. وما النزاع حاليًا

حول الرازقية والخالقية سوى امتداد للنزاع السابق في العهود المتقدِّمة حيث انقسم الشيعة إلى فرقتين: إحداهما تعتقد بالخالقية والرازقية بإذن الله تعالى، وثانيهما لا تعتقد بما تعتقده الأولى، بل اعتبروهما من الغلو والشرك.. والحق مع الفرقة الأولى لأنها قرنت الخالقية والرازقية بقدرة الله تعالى حيث إن الله تعالى فوَّض آل البيت (عليهم السَّلام) بكلتا المسألتين اللتين شوشت خاطر بعض الشيعة، فحاصوا وباصوا ولم يتدبروا بأن الرزق والخلق يجري على أيدي آل البيت (عليهم السَّلام) على نحو التبعية لله تعالى وينبوع قدرته، وهما أمران حاصلان بالوجدان وشواهد الكتاب والسنّة النبوية والوَلَويَّة، وكلُّ خبر يناهض الكتاب والسُّنَّة فهو زخرف لا يصح الاعتماد عليه والركون إليه، ونختم بحثنا بحديثين يؤكدان صحة صدور الخلق منهم وتوزيع الرزق من جهتهم، فهم يخلقون ويرزقون بإذن الله تعالى وقدرته:

الحديث الأول: ما رواه الشيخ الطوسي[1] قال: أخبرنا الحسين بن إبراهيم، عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد بن تربك الرهاوي، قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه أو قال أبو الحسن (علي بن) أحمد الدلال القمي قال: اختلف جماعة من الشيعة في أن الله (عز وجل) فوض إلى الأئمة (صلوات الله عليهم) أن يخلقوا أو يرزقوا؟ فقال قوم هذا محال لا يجوز على الله تعالى لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله (عز وجل)، وقال آخرون بل الله تعالى أقدر الأئمة على ذلك وفوضه إليهم فخلقوا ورزقوا وتنازعوا في ذلك تنازعًا شديد.. فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري فتسألونه عن ذلك فيوضح لكم الحق فيه، فإنه الطريق إلى صاحب الأمر (عجل الله فرجه)، فرضيَتِ الجماعةُ بأبي جعفر وسلمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: "إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسم الأرزاق، لأنه ليس بجسم ولا حالّ في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع

---

[1] الغيبة: ص 294 ح 248.

العليم، وأما الأئمة (عليهم السَّلام) **فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق؛ إيجابا لمسألتهم، وإعظاما لحقهم**".

وبما تقدّم يتّضح أنهم يخلقون عندما يطلبون من الله تعالى ذلك، فهم (عليهم السَّلام) قادرون على الخلق بقدرة الله تعالى، وليس بقدرتهم من دون استعانة به (تبارك ذكره).. فتأملوا.

الحديث الثاني: ما روي في بصائر الدرجات[1] بإسناده عن محمد بن عبد الجبار عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي عن أحمد بن الحسن الميثمي عن صالح عن أبي حمزة قال: كنتُ عند علي بن الحسين وعصافير على الحايط قبالته يصحن، فقال: "يا أبا حمزة أتدري ما يقلن؟!"، قال: "يتحدثن أنّ لهنّ وقتًا يسألن فيه قوتهن، يا أبا حمزة لا تنامن قبل طلوع الشمس فإنى أكرهها لك، **إن الله يقسِّم في ذلك الوقت أرزاق العباد وعلى أيدينا يجريها**".

وبهذا نكون قد أجبنا إجابةً شافيةً وافيةً واضحةً شافية عن مسألة الخالقية والرازقية، وطبيعة وشروط نسبتِها إلى أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السَّلام) بأسلوبٍ علميٍّ موضوعيٍّ سهل مبسّطٍ سلس، يتيح للقارئ اللبيب فهمَها بيسر ووضوح إنْ شاء الله.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وأما سؤالكم عن مدى صحة خطبة البيان: فنحيلكم إلى بحثين معمقين حول الخطبة في موقعنا المبارك مركز العترة الطاهرة للبحوث والدراسات تحت العنوانين التاليين هما:

الأول:**(دفع الإشكال المتوَجّه على خطبة البيان والإفتخارية والتطنجية)**.

الثاني: **(خطبة البيان والتطنجية صحيحتان دلالة..)**.

---

[1] باب 14 ص 363 ح 9.

وبهذا نكون قد انتهينا من الإجابة عن أســئلتكم الكريمة، ولله تعالى الفضــل والمنَّة، والشــكر لله ولرســوله وآله الطيبين الطاهرين، ولعن الله ظالميهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين. والســلام عليكم ورحمته وبركاته. ونســألكم الدعاء عند مظانّ اســتجابة الدعوات.

كلهم باسط ذراعيه بالوصيد
غريب الديار محمَّد جميل حمُّود العاملي
بيروت/ بتاريخ 25 محرّم الحرام 1446 هجري
المو افق للعام 2025 ميلادي.

يا أيها البئر المعطلة والقصر المشيد
السلام عليكم ورحمته وبركاته
مولاي يا قائم آل محمَّد أغيثوا الملهوف
خادم نعليك الشريفتين عبدك غريب الديار
العاملي محمّد